مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٣)، ص ص ١٥٤٣-١٥٨٢، (رجب ١٤٤٢ هـ/ فبراير ٢٠٢١)

تبادل الأسرى بين المسلمين والصليبيين
٥٤٤ -٥٨٩هـ/١١٤٩ -١١٩٣م

د. موضي بنت عبدالله السرحان
أستاذ مساعد - قسم التاريخ -كلية الآداب -جامعة الملك سعود

ملخص البحث: تعرض العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى هجمة أوروبية شرسة، عُرفت في التاريخ بالحروب الصليبية نتج عنها تكوين كيانات سياسية في بلاد الشام، جاورت الممتلكات الإسلامية. وما بين توسع هذه الكيانات والمقاومة الإسلامية لها، وقع العديد من الأسرى بين الطرفين. وقد تعددت طُرق وأنواع الأسر، فمن أسر ناتج عن العمليات العسكرية المباشرة، إلى أسر بسبب الغارات الخاطفة، والاعتداءات البرية والبحرية. كما تعددت أشكال الفئات المأسورة فمن قادة عسكريين، وجنود، إلى تجَّار، ومسافرين، وحُجاج وعامة الناس. وقد حاول كل طرف من أطراف النزاع استنقاذ أسراه بطرق عدة كان أبرزها تبادل الأسرى الذي وقف وراءه عدة دوافع منها: أهمية الشخصيات المأسورة، والحاجة إلى المال، وحاجة الأطراف المتنازعة إلى خدمات الجنود المأسورين. وقد كانت عمليات التبادل تتم إما أسرى مقابل أسرى، أو بالمال. وكانت تسير هذه العمليات وفقاً لآليات معينة استطاع كل طرف من خلالها إتمام عملية التبادل وإنقاذ أسراه.

الكلمات المفتاحية: بلاد الشام، الحروب الصليبية، الأسرى، المسلمين، الصليبيين، الحُجاج، الوقف.

مقدمة:

بدأت الحملات الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى الشرق الإسلامي وأسفرت عن استقرار القوى الصليبية في بلاد الشام وتكوين كيانات سياسية جاورت المدن الإسلامية، ونتج عن هذا الوجود الصليبي مقاومة لإخراج المحتل فدخلت المنطقة في صراعات مستمرة محاورها أصحاب الأرض من المسلمين من جهة، والقوى الغربية المحتلة لبلاد الشام من جهة أخرى. ونتيجة لهذه الصدامات ووجود القوى المتحاربة في مناطق متقاربة وقع الكثير من المقاتلين والعامة من المواطنين أسرى خاصة في أشد فترات الصراع بين الطرفين الإسلامي الصليبي قبيل نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حتى معركة حطين والنتائج المترتبة عليها ٥٤٤ -٥٨٩هـ/١١٤٩ -١١٩٣م، وقد عمل كل طرف من الأطراف على إنقاذ أسراه في الوقت الذي لم يكن فيه هيئات دولية أو قانونية ترعى حالات الأسرى وتُشرف عليها. ومن الجانب الإسلامي نرى أن الشريعة الإسلامية أولت هذا الجانب جُلّ اهتمامها، فقد ذُكر عن عمر بن الخطاب ﷺقوله: "لَأَنْ أَسْتَنْقِذَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"(١). وناقش علماء المسلمين صحة المبادلة فأجاز جمهور أهل العلم فك الأسير من الكفار بالأسير من المسلمين، فقد أجاز المالكية والشافعية والحنابلة قبول افتداء المشركين أسراهم الرجال المقاتلة بمال أو بأسرى من المسلمين إذا رأى الإمام أو أمير الجيش أن في ذلك مصلحة وحظاً للمسلمين(٢).

---

(١) أبو بكر بن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ٤٧٩/٦.

(٢)موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، **المغني لابن قدامة**، (القاهرة: مكتبة القاهرة، =

وسوف يتم تناول موضوع تبادل الأسرى بين الجانبين الإسلامي والصليبي خلال فترة الدراسة في ضوء عدد من العناصر تشمل أنواع عمليات الأسر، ودوافع تبادل الأسرى، وأوضاع الأسرى لدى الجانبين، وختاماً عرض لأهم الإجراءات المتبعة في عملية تبادل الأسرى وآلياتها.

أولاً: الأسر لغة

مأخوذ من أسره يأسره، وأساره شَدَّه بالإسار، والإسار ما شُدَّ به، والإسار القيد، ويكون حَبل الكِتاف ومنه سمي الأسير.وكانوا يشدونه بالقدّ، فسمي كل أَخِيذٍ أسيراً، وإن لم يُشدّ به، ويقال أسرت الرجل أسراً وإساراً، فهو أسير ومأسور، والجمع أسرى، وأُسارى، وكل محبوس في قِدّ أو سِجن أسير[١].

ثانياً: أسرى الحرب في المسيحية والإسلام

اهتمت جميع الديانات السماوية بالإنسان في جميع حالاته، وفي حالة الأسر، تناولت كل من الديانة المسحية والإسلام هذا نظراً لأهميته لأتباع الديانتين.

بالنسبة للمسيحية ذات الأسبقية الزمنية، فقد رفضت مسألة العنف والقتال، فالقانون الكنسي يرى أنه "لا يجب لمسيحي قتل مسيحي آخر، لأن من يقتل مسيحياً يسفك لا ريب دم المسيح"[٢]، فدأبت الكنيسة على المحافظة على الدعوة للسلام خلال

=

١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ٩/٢٨٣-٢٨٤؛ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٢٨/٦٤٢.

(١)محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ٤/١٩.

(٢)توماس ماستناك، **السلام الصليبي**، ترجمة: بشير السباعي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٩م)، ٥٧.

العصور الوسطى، من خلال ما عُرف بسلام الرب وهدنة الرب بقصد السيطرة على الحروب الإقطاعية، وحماية بعض العناصر السكانية، من فقراء وأفراد وفلاحين وتجار، ورجال دين، من الحرب وأضرارها[١].ومع ذلك كان يتم انتهاك سلام الرب وهدنة الرب بالاقتتال، وقد عبَّر فوشيه الشارتريFulcher de Chartres عن ذلك بأن الجميع كانوا يتجاسرون على العقيدة المسيحية بشكل متزايد، سواء من رجال الكنيسة أو العلمانيين، فقد كان هناك مِن الأمراء مَن يتقاتلون بحيث أنهم يأخذون بعض الأسرى ظلماً وعدواناً طلباً للفدية[٢]. وكان الأسر وطلب الفداء في القانون الكنسي انتهاكاً للسلام الذي تدعو له الكنيسة[٣].وخلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حقق الغرب توسعاً على حساب الدويلات الإسلامية في الأندلس، كانت الكنيسة مؤيدة لهذا التوسع[٤]، بل سارع البابا أن يجعل بعض تلك المناطق التي كانت من قبل تحت سيادة المسلمين، ضمن نفوذ كنيسة روما[٥]. ثم كان توجه الغرب للشرق الإسلامي فيما سمي بالحروب الصليبية، التي

---

(١) المرجع السابق، ٦٣.

(٢)فوشيه الشارتري، **الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥-١١٢٧م**)، ترجمة قاسم عبده قاسم، (الكويت، ذات السلاسل،١٤١٣/١٩٩٣م)، ٨٧، ٩٢؛ قاسم عبده قاسم، **الحملة الصليبية الأولى (نصوص ووثائق)**، (القاهرة: عين للدراسات للبحوث الدينية والاجتماعية، ٢٠٠١)،٦٦.

(٣) الشارتري، **الاستيطان الصليبي**، ٨٧.

(٤)جونثان رايل سميث، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م) ٣٩/١.

(٥)محمد مؤنس عوض،**تاريخ الصليبيات، الصراع العالمي في العصور الوسطى**، (القاهرة: دار العالم العربي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ٧٦.

بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ورأت البابوية أنها حروب مقدسة، جزاء الاشتراك فيها الغفران الكنسي، وأباحت فيها القتل والأسر، وذلك ضمن إستراتيجية محاربة الإسلام، باعتباره العدو، والانتصار للمسيحية[١]، وفي الشرق الإسلامي، وبعد تكوين الكيانات السياسية الصليبية في الشرق، منح قانون مملكة بيت المقدس العبد غير المسيحي، حريته إذا ارتد عن دينه، لذلك لم يتقبل الصليبيون تعميد غير المسيحي لحاجتهم لهم كعبيد[٢].

أما في الإسلام فقد اهتمت الشريعة الإسلامية بمسألة الأسر، فأشار القرآن الكريم إلى الأسر في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٣].

كما وضَّحت الشريعة الإسلامية معاملة الأسير، وجعلها من القربات، ومن حب الله عز وجل، وأن الله أمر بالإحسان للأسرى، بقوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[٤]. وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ما رواه أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١) المرجعالسابق، ٧٨-٩٩.

(٢)حسين محمد عطية، **تشريعات الصليبيين: دراسة في قوانين أنطاكية ومملكة بين المقدس الصليبية**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة، ٢٠١٢م)، ٢٥٢.

(٣) سورة محمد: آية ٤.

(٤) سورة الإنسان: آية ٨.

عليه وسلم: "فُكُّوا العَانِي، يَعْنِي: الأَسِيرَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ"[١]. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه فك الأسرى وأمر بفكهم، مثلما ورد عنه إذ فادى أسارى بدر بالمال وكانوا سبعين رجلاً، كل رجل منهم بأربعمائة درهم[٢]، وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من المسلمين بالرجل الذي أخذه من بني عقيل[٣]. فجرى بذلك عمل المسلمين، واتفق به الإجماع، ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين[٤]. واتفق العلماء على أن فكاك الأسير، المسلم من أيدي الكفار واجب عند الجمهور بأي وسلية مشروعة، ومنها المفاداه بأسراهم أو المال، وقد ذكر ابن قدامه أنه يجوز أن يشتري من زكاته أسيراً مسلماً باعتباره فك رقبة من الأسر، وفيه إعزاز للدين، وأن فك رقبة الأسير أشبه ما يدفعه الغارم، لفك رقبته من الدين[٥].

---

(١)محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، مصورة من السلطانية، ١٤٢٢هـ)، ١٠٤/٣.

(٢)أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)، ٦١/٣.

(٣)مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥)، ١٢٦٢/٣.

(٤)محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: عبدالله التركي وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ٢٤٢/٢.

(٥) ابن قدامة، **المغني**، ٢٨٤/٩.

أولاً: أنواع عمليات الأسر

قبل تناول كيفية التبادل لابد من معرفة أنواع الأَسْر، فلم يكن الأسر فترة الدراسة ذا طابع واحد، إنما اختلف باختلاف الأسباب والظروف، فتعددت أنواع الأسر بين طرفي النزاع، اتفقا في بعض الأنواع واختلفا في البعض الأخر.

وتعد العمليات العسكرية هي النوع الأول المعروف للوقوع في الأسر، فشهدت المعارك بين الطرفين أسر الكثير من الأمراء والقادة العسكريين ففي الجانب الصليبي، وقع عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م جوسلين الثاني Joscelin II (٥٢٦ - ٥٤٥هـ/١١٣١ -١١٥٠م) صاحب قلعة إعزاز في يد المسلمين[١]. وقد كان لوقوع هذا الأمير أهمية للقائد نور الدين محمود زنكي (٥٤١ -٥٦٩هـ/١١٤٦ - ١١٧٤م)إذ تمكن بعد أسر جوسلين من الاستيلاء على قلعة إعزاز ذات الأهمية الإستراتيجية لمتلكاته. ونظراً لذلك فقد وقف ضد مبادلته بالمال وإطلاق سراحه بل سجنه حتى مات بعد تسع سنوات وقد وصفه ابن الأثير بأنه "شيطان عات شديدٌ على المسلمين"[٢]. وفي عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م تمكن المسلمون من أسر رينالد شاتيون Raynaldde Chatillon[٣]، ويعلق وليم الصوري على ذلك بالقول:

---

(١) حمزة بن أسد بن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٨٠م)، ٣١٠.

(٢) علي بن أبي الكرم ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٢/١٩٨٢م)، ١٥٥/١١.

(٣) رينالد شاتيون: صاحب الكرك والشوبك، عرف في المصادر الإسلامية باسم (الرنس أرناط)، وهو ابن هنري سيد شاتيون، وكان قد صحب الملك لويس السابع أثناء الحملة الصليبية الثانية، وقتله صلاح الدين الأيوبي عقب معركة حطين. انظر: بهاء الدين ابن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ٧٨.

"أسره العدو وقيده بالسلاسل واقتاده إلى حلب بطريقة مخزية"[١].وباستمرار حركة الجهاد تمكن نور الدين محمود زنكي في عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م من أسر عدد من الأمراء الصليبيين في مقدمتهم بوهمند الثالثBohemondIIIأمير أنطاكية (٥٣٦ - ٥٩٧هـ/١١٤٤ -١٢٠١م)، وريموند الثالثIII Raymond أمير طرابلس (٥٤٧ -٥٨٣ه/١١٥٢ -١١٨٧م) والأمير جوسلين الثالثIII Joscelin (٥٥٤ -٥٨٦هـ/١١٥٩ -١١٩٠م) على أثر معركة بينهم وبين نور الدين زنكي بالقرب من حارم[٢].

ونظراً لعلو مكانة الأسرى الصليبيين بين قومهم كأمراء وقادة، رأى وليم الصوري أن نور الدين زنكي كان يتفاخر بأسر القادة الصليبيين[٣]. وإن لم يكن هناك ما يثبت فعلياً صحة هذا الرأي، إلا أن تفوق الجيوش الإسلامية من الناحية القتالية يُفسِّر ما ذهب إليه وليم الصوري، خاصة إنه إلى ذلك الوقت الذي وصف وليم نور الدين بتلك الصفة كان كل من الأمير رينالد شاتيون، وريموند الثالث صاحب طرابلس، والأمير جوسلين الثالث في سجون زنكي لم يطلق سراح أيّ منهم.

بالإضافة إلى ما سبق، وأثناء الصراع الإسلامي الصليبي على فرض الوجود في مصر الفاطمية، تمكن أسد الدين شيركوه عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م من أسر العديد من الأمراء والقادة الصليبيين ومنهم هيو سيد قيساريةHugo de Caesarea(٥٤٩ -

---

(١)وليم الصوري، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة: سهيل ذكار، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٨٦٩/٢.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٣٠٢/١١-٣٠٣. حَارِم: كورة وحصن حصين تجاه أنطاكية. انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ٢٠٥/٢.

(٣)الصوري، **الحروب الصليبية**، ٨٩٠/٢.

٥٦٣هـ/١١٥٤ -١١٦٨م) وآرنولف Arnulf de Tall Bashir صاحب تل باشر[١]. وبعد تولي صلاح الدين الأيوبي(٥٧٦ -٥٨٩هـ/١١٧٤ -١١٩٣م) مسؤولية جهاد الصليبيين تمكن من أسر العديد من أمراء وقادة الصليبيين ومقدمي الهيئات الدينية العسكرية "الداوية - الاستبارية"التي أصبحت تشكل العمود الفقري للقوة العسكرية الصليبية في ظل ضعف الموارد البشرية، ففي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م، في معركة حصن بيت الأحزان[٢] تمكن صلاح الدين الأيوبي من أسر كل من صاحب الرملة بلدوين دي إبلينBaliandeIbelin(٥٦٧ -٥٨٢هـ/١١٧١ -١١٨٦م) وهو الذي وصفه ابن الأثير بأنه "أعظم الفرنج محلاً بعد الملك"[٣]، وهيو أحد سادة طبرِّيـــة[٤]، ومقـــدم الداويـــةأودو ســـانت أمانـــدEudestAmand(٥٦٧ - ٥٧٥هـ/١١٧١ -١١٧٩م)، ومقدم الاسبتارية روجار مولين Roger de Moulins(٥٧٣ -٥٨٣هـ/١١٧٧ -١١٨٧م)[٥].

---

(١) المصدر السابق، ٢/٩١٢-٩١٨؛ تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة تقع في شمال حلب. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٢/٤٠.

(٢) للمزيد عن هذه المعركة راجع: ابن الأثير، **الكامل**، ١١: ٤٥٥. وحصن بيت الأحزان أحد الحصون الصليبية التي بناها الملك بلدوين الرابع عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م على مخاضة يعقوب على نهر الأردن. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ١٢/١٤٧-١٤٨.

(٣) الصوري، **الحروب الصليبية**، ١٠١٣-١٠١٤؛ ابن الأثير، **الكامل**، ١١/ ٤٥٥.

(٤) طبرية: بُليدة من أعمال الأردن تطل على بحير طبرية، وتبعد عن دمشق ثلاثة أيام. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٤/ ١٧.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ١١/ ٤٥٥.

وقد كانت فرق الداوية والاسبتارية تشكل القوة العسكرية للصليبيين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حتى سمّاهم ابن الأثير "جمرة الفرنج"[١] لذلك غالباً ما تكون المواجهة بينهم وبين الجيش الإسلامي. وبعد خسارتهم في المعارك يقع رجال الهيئتين في الأسر كما حدث قبيل معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٣م عندما أغار الجيش الإسلامي على أطراف مدينة عكا وتصدَّت له قوات الإسبتارية والداوية وهزمت شر هزيمة ووقع معظم رجالها في الأسر[٢]. ثم كانت معركة حطين المعركة الفاصلة التي تم فيها أسر ملك مملكة بيت المقدس ومعظم أمرائه وقادته ومقدمي الفرق الدينية العسكرية[٣].كما يعلق المؤرخ دودوDodo على وضع الصليبيين السَيِّئ في تلك الفترة أنه لم يكن لديهم روح المغامرة والتصدي للعمليات العسكرية التي كانت للصليبيين في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[٤].

أما في الجانب الإسلامي فقد أُسر سلاحدار[٥] نور الدين محمود زنكي في سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م على يد الأمير جوسلين الثاني[١] حاكم تل باشر[٢]، وفي عهد صلاح

---

(١) المصدر السابق، ٥٣١/١١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) وليم الصوري، **ذيل وليم الصوري**، ترجمة: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م)، ٩٠-٩١.

(٤)Dodu: g,- Histoire des Institutions Monarchiqesdans le Royaume Latin Jersalem. 1099-1291, Paris 1894, 146-147.

(٥)سلاح دارأي ممسك أو صاحب سلاح السلطان، وله الإشراف على السلاح خاناه السلطانية، ويختار عادة من بين الأمراء المقدمين. انظر: أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،(القاهرة: دار =

صلاح الدين الأيوبي وقعت بعض الشخصيات الإسلامية المهمة من قادة ورجال دين أســـــرى في يد الصليبيين

ومنهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكَّاري[٣]، وشاهنشاه ابن المظفر تقي الدين عمر بن أيوب الذي أُسر بخديعة وبيع للداوية وظل في الأسر سبع سنوات[٤]، كما أُسر رسول صاحب حصن كيفا[٥]عندما كان قادماً على صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة في

=

الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، ١٨/٤.

(١)قام جوسلين الثاني بأسر سلحدار نور الدين محمود زنكي وتسليمه إلى صهره نكاية به، لذلك كان انتقام نور الدين بالحرص على أسره ومن ثم قتله. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ١٥٤/١١.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ١٥٤/١١.

(٣) الفقيه أبو محمد ضياء الدين عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري، اشتغل في بداية أمره بالمدرسة الزجاجية بحلب، ثم اتصل بأسد الدين شيركوه، وكان له دور فاعل في إقناع أمراء الجيش النوري بمصر لتولية صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه، وتوفي في سنة ٥٨٥هـ. انظر: أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، ١٦٥/٣-١٦٦.

(٤) محمد بن محمد عماد الدين الكاتب الأصفهاني، **البرق الشامي**، تحقيق: فالح حسين، (الأردن: مؤسسة عبدالحميد شومان، ١٩٨٧م)، ٣٨/٣، ٣٩؛ شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣٠٣/٢-٣٠٤؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٩٧.

(٥) كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر: ياقوت، **معجمالبلدان**، ٢٥٦/٢.

سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، حيث اعترضه الفرنج وقاموا بأسره فأفرج عنه صلاح الدين عندما قام بالاستيلاء على حصن بيت الأحزان في سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م[١].

لم يقتصر الأسر في المعارك العسكرية على الأمراء والقادة إنما شكل الأسرى من الجنود بمختلف فئاتهم العسكرية الأكثرية العددية سواء من المسلمين أو الصليبيين، وقد ذكرت المصادر هؤلاء الأسرى ضمن نتائج المعارك التي خاضها الطرفان، ومن الملاحظ أنه غالباً ما تكتفي تلك المصادر بالإشارة إلى وقوع العديد من الأسرى[٢]. كان وقوع هؤلاء الجنود فيالأسر أثناء المعارك في بعض الأحيان تخلي قادتهم عنهم، والفرار بالنجاة بأنفسهم[٣]، كما كان بعض الأسرى يستلسمون بعد هزيمة الجيش في المعركة طلباً للنجاة من الهلاك من الجوع وسوء الأحوال الجوية[٤]. ويذكر المؤرخ المجهول أن ريتشارد قلب الأسد أثناء الحملة الصليبية الثالثة كانت غاراته متوالية على المسلمين "كان لا يعود من هذه الاشتباكات إلا وقد قتل منهم... كما كان يعود بالأسرى"[٥].وقد بالأسرى"[٥].وقد ترد أحياناً إشارات إلى فئات هؤلاء الأسرى أو عددهم، وقد ذكر

---

(١) محمد بن سالم بن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٧م)، ٢/٥٧.

(٢) علي بن أبي الكرم ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت)، ٩٢، ١١٧، ١٤٦؛ ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٥٩. أبو شامة، **الروضتين**، ٢/١٦.

(٣) الصوري، **الحروب الصليبية**، ٢/١٠٠٣.

(٤) المصدر السابق، ٢/١٠٠٤؛

Lamont: J, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291 Cambridge 1932, 29.

(٥) مجهول، **الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد**، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية =

ابن القلانسي أن المسلمين قد تمكنوا عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م من الحصول على الكثير من الأسرى مشيراً إلى فئاتهم الرجالة والسرجندية والتركبولية[١].

كما شكلت الإغارة على المناطق الآهلة بالسكان مدفوعة بأطماع اقتصادية إحدى دوافع الأسر رغم وجود معاهدات تضمن لتلك المناطق الأمن، كانت هذه الاعتداءات غالباً من الجانب الصليبي كما فعل الملك بلدوين الثالثBaldwin III (٥٤٧ -٥٥٨هـ/١١٥٢ -١١٦٢م) عندما أغار على الرعاة حول مدينة بانياسوقتل وأسر الكثير منهم، يذكر وليم الصوري أن إقدام الملك بلدوين الثالث كان بسبب أن الديون "أرهقته وكبلته واجبات كثيرة لم تكن لديه أية وسيلة للإيفاء بمطالبها"[٢]. وبالمقابل لا نرى من الجانب الإسلامي هذا التوجه لا سيما في فترة الدراسة، وإن حدثت غارات مفاجئة تكون ضد القوات العسكرية بقصد إضعاف القوة العسكرية للصليبيين، فقد تمكنت قوات نور الدين محمود من الإغارة على إحدى القوافل التي تحمل مؤناً لمدينة بانياس الصليبية وأسر الكثير منهم وصادر تلك المؤن[٣].

=

العامة للكتاب، ٢٠٠٠م)، ١٦٨/٢.

(١) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٥٠٨. والسرجندية والتركبولية مسميات لبعض فرق الجيش الصليبي، وتعني الأولى رجالة ثقال الأسلحة والدروع، كانت تتولى تجنيدهم وتسليحهم الكنيسة والأديرة، وكان عددهم في الغالب ضعف عدد الفرسان. أما التركبولية، فتعني الخيالة أو الفرسان أصحاب التسليح الخفيف. للمزيد راجع: ر. سي. سميل، **فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م)**، ترجمة: محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٥م).

(٢) وليم الصوري، **الحروب الصليبية**، ٨٤٣/٢.

(٣) المصدر السابق، ٨٤٤/٢.

بالإضافة إلى ما سبق لم تسلم القوافل التجارية والمسافرين من الإغارات الصليبية فتعرض التجار والمسافرين إلى عمليات قطع الطريق على تلك القوافل وأسر العديد من التجار والمسافرين(١). كانت آخر هذه التهديدات في فترة الدراسة ما قام به رينالد دي شاتيون الذي قام بقطع الطريق على القوافل الإسلامية المارة بإمارته والاعتداء على من فيها من تجار وحجاج بالأسر(٢). والتي كانت سبباً في حدوث معركة حطين التي خسر الصليبون فيها معظم ممتلكاتهم(٣).

بالإضافة إلى العمليات العسكرية البرية كانت هناك عمليات بحرية شملت معظم المدن الصليبية للساحل الشامي بقصد إضعاف القوى الصليبية أو على الأقل إقلاقها، ففي عام ٥٤٦هـ/١١٥٢م تمكن الأسطول المصري من الإغارة على يافا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس تم من خلالها أسر العديد من الصليبيين(٤).وفي عام ٥٤٨هـ/١١٥٤م تمكن المسلمون من الهجوم على مراكب قدمت إلى تِنِّيس(٥)وأسرت منهم الكثير(٦)، كما تم أسر أعداد من الصليبيين في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، قدّرها

(١) أبو بكر عبدالله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرين، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢م)، ٥١/٧.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٢٨/١١.

(٣) المصدر السابق، ٥٣٤/١١.

(٤) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٣١٥.

(٥) تنيس: جزيرة قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، والحال فيها مثل دمياط إلا أنها أجل وأوسط. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٥١/٢.

(٦) ابن الأثير، **الكامل**، ١٩٠/١١.

العماد بـألف وستمائة وستة وسبعين من الأسـرى عن طريق البحر، حيث ألقى البحر ببُطْسَة[١] الصليبيين على مدينة دمياط[٢].

كان كلا الطرفين من مسلمين وصليبيين يخشون وقوع النساء في الأسر، وقد أشار أسامة بن منقذ إلى الكثير من الدلائل على ذلك، فقد كانت النساء المسلمات يفضلن الموت على الأسر لدى الصليبيين[٣]. أما الصليبيين فقد تمكن الداوية من إقناع ملك مملكة بيت المقدس جان لوزنيانGuyLusignanبالخروج لإنقاذ الكونتيسة أشيفيا أميرة الجليل[٤] وزوجة ريموند صاحب طرابلس من الوقوع في الأسر رغم معارضة زوجها لذلك الأمر الذي رأى فيه خطورة على الجانب الصليبي عسكرياً أثناء حصار صلاح الدين الأيوبي لمدينة طبرية، وقد صدق حدْس ريموند إذ حدثت معركة حطين التي دمرت المملكة الصليبية[٥].

وبعد معركة حطين حاصر صلاح الدين مدينة القدس، فاضطر البطريرك إلى تسليم المدينة بعد مقاومة عنيفة، كان إنقاذ النساء الصليبيات من الوقوع في الأسر عند

---

(١) البُطْسة أو البطشة: سفينة حربية تقل على متنها في العادة ما بين ٣٠٠-٧٠٠ مقاتل. انظر: ابن واصل، **مفرج الكروب**، ٧٧/٢، هـ (١).

(٢) فتح بن علي البنداري، **سنا البرق الشامي**، تحقيق: فتحية النبراوي (القاهرة: الخانجي، ١٩٧٩م)، ١٩٤.

(٣) للمزيد انظر: أسامه بن مرشد بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، تحقيق: قاسم السامارائي، (الرياض: دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ١٤٠٧-١٩٨٧م)، ١٤٥، ١٦٨.

(٤)أشيفيا إبنة إليناند، ووالدتها إرمنجارد دي إبلين، تزوجت من والتر سانت أومر، آمر قلعة طبرية الذي كان يعمل لدى ملك مملكة بيت المقدس، وبعد وفاته تزوجت من ريموند الثالث صاحب طرابلس الذي أصبح سيداً لطبرية بناءً على زواجه منها. للمزيد انظر: الصوري، **الحروب الصليبية**، ٩٧٧/٢.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٣٤/١١؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ١٢٦-١٣٠.

دخول المدينة عنوة هو ما أقنع به البطريرك بقيّة القيادات الصليبية للحفاظ على النساء من ذلك المصير[١].

ورغم محاولات المسلمين والصليبيين الحفاظ على نسائهم من الوقوع في الأسر إلا أن ذلكلم يمنع وجود أسيرات لكلا الطرفين فترة الدراسة، وقد أشارت المصادر إلى ذلك منهاما ذكره ابن شداد في إحدى المعارك أن هناك أربعة نسوة يقاتلن وأسر منهن اثنتان[٢].كما ذكر ابن جبير أثناء مروره ببلاد الشام عند حديثه عما شاهده "والأسيرات المسلمات كذلك في أسواقهن خلاخيل من حديد" كناية عن القيود، وهذا يشير إلى وجود العديد من الأسيرات المسلمات لدى الصليبيين، ويبدو أن هؤلاء الأسيرات كن نتيجة للغارات على المدن الآمنة والقوافل[٣].

ثانياً: دوافع تبادل الأسرى

بقدر حرص الأطراف المتنازعة على الحصول على الأسرى، حرص كل من المسلمين والصليبيين على استنقاذ أسراهم، وهذا ما نراه على طول فترة الدراسة، وقد صرح نور الدين محمود زنكي مخاطباً أصحاب دمشق عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م "أنا ما أوثر إلا صلاح المسلمين وجهاد المشركين وخلاص ما في أيديهم من الأسارى..."[٤]. وبما أن الجهاد العسكري لا يفي بالغرض وحده كان لابد من اللجوء إلى طرق أخرى ومنها المبادلة مدفوعين بعدة عوامل.

---

(١) الصوري، **ذيل وليم الصوري**، ١٢١-١٢٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ١١/٥٤٨-٥٤٩.

(٢) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ١٩٩.

(٣) محمد بن أحمد بن جبير، **رحلة ابن جبير**، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠/١٩٨٠م)، ٢٨٠.

(٤) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ٣١٣.

فقد كانت أهمية الشخصيات المأسورة لا سيما إذا اجتمعت أهمية الشخصية مع المصالح السياسية أحد العوامل التي تدفع الأطراف إلى السعي لمبادلتهم سواء بأسرى أو عن طريق المال وكان الجانب الصليبي يشكل الأكثرية في ذلك نظراً لوقوع العديد من الأمراء والقادة العسكريين في الأسر، وبالنظر لتلك الحالات في فترة الدراسة، نرى أن بوهمند حاكم أنطاكية يأتي في مقدمة هؤلاء الأمراء إذ كان أهم بنود الموافقة على إطلاق سراحه عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م إطلاق جميع الأسرى المسلمين في إمارته[١]. وقد أشار أبو شامة إلى أن نور الدين يرى أن مجاورة بوهمند أحب إليه من مجاورة ملك الروم[٢]. وقد حرص الصليبيون في ظل ضعف القوى الصليبية على مبادلة أمرائهم وقادتهم العسكريين، نرى ذلك في عرضهم مبادلة صاحب الرملة ونابلس بألف أسير مسلم دون تحديد فئاتهم، كما حرص الجانب الإسلامي على استنقاذ هذا العدد مقابل أسير يراه ابن الأثير "أعظم الفرنج محلاً بعد الملك"[٣]. كما استغل بعض الأمراء علاقته ببعض القادة

الصليبيين ليفرج عن أسراه، فهذا ريموند صاحب طرابلس يتفق مع صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م على هدنة من أهم شروطها مساعدة صلاح الدين في حالة تعرضه لأي هجوم من صليبيي بيت المقدس، بالمقابل قام صلاح الدين

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ٣٠٤/١١.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ٣٦٤/١.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ٤٥٥/١١.

بالإفراج عن أسارى صليبيين من جماعة ريموند وأرسلهم إليه ففرح بهم وأظهر الطاعة له[١].

أما بالنسبة للجانب الإسلامي الذي نادراً ما فقد شخصيات مهمة في الأسر فترة الدراسة، إلا أنه حرص أيضاً على مبادلة بعض الشخصيات الإسلامية، فقد اضطر صلاح الدين إلى مبادلة الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بعدد لم يُحدد من الأسرى الصليبيين، يقول أبو شامة: "وما خلص الفقيه عيسى وأخوه إلا بعد سنين بستين أو سبعين ألف دينار وفكاك جماعة من الكفار"[٢].ونظراً لأهمية شاهنشاه ابن المظفر تقي الدين، كانت المبادلة بالإضافة إلى المال، سبباً في إطلاق سراح عدد من الأسرى الداوية[٣]، رغم أن هؤلاء لم تجر العادة بمفاداتهم، كما أنه لا يستفاد منهم كأسرى بل غالباً ما يتم قتلهم لأنهم أشد عداوة واعتداءً على الممتلكات الإسلامية[٤]. كما كان اعتماد الوجود الصليبي في فترة الدراسة منصب على فرسان هاتين الفرقتين، ومع ذلك كان هناك استثناء آخر من هذه القاعدة وهي أيضاً من الحالات النادرة وهو إطلاق سراح جيراردفورردRadefortGerard مقدم الداوية (٥٦٧ - ٥٧٥هـ/١١٧١ -١١٧٩م)، هذا الاستثناء كان مقابل هدف عسكري، وهو حث

(١) المصدر السابق، ١١/٥٢٦-٥٢٧.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ٢/ ٣٠٥.

(٣) العماد، **البرق الشامي**، ٣/٣٨-٣٩. أبو شامة، **الروضتين**، ٢/٣٠٥.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ٢/٣٠٤-٣٠٦.

حامية غزة على الاستسلام وتسليم المدينة للمسلمين بعد معركة حطين، وبالفعل اضطرت حامية غزة إلى الاستسلام بناءً على أوامر مقدم الداوية جيرارد[١].

لم تكن مدينة غزة هي المدينة الوحيدة التي فاوض صلاح الدين الأيوبي الصليبيين فيها مقابل إطلاق سراح أهم الشخصيات الصليبية، وإنما شمل ذلك مدينة عسقلان المهمة، فقد أحضر السلطان صلاح الدين الأيوبي الملك الصليبي المأسور جاي ومقدم الداوية من دمشق ووعدهما بإطلاق سراحهما مقابل تسليم عسقلان[٢].

كان القانون الصليبي في مثل حالات الأسر تلك يُلزم أتباع الملك الذين هم أمراء الإقطاعيات ببيع إقطاعياتهم من أجل توفير المبلغ للمبادلة في حالة أسر الملك[٣]، إلا أن ذلك القانون حالت الظروف دون تفعيله بعد معركة حطين، فالاقطاعيات أصبحت مُدناً إسلامية ففقد الأمراء ممتلكاتهم والأتباع بين قتيل وأسير، لذلك لم يكن من ملك مملكة بيت المقدس إلا الإذعان لطلب صلاح الدين وإجبارأصحاب عسقلان على الاستسلام للقوات الإسلامية، وبعد إلحاح من الملك الصليبي تم تسليم المدينة.أضف إلى ذلك أن النظام الإقطاعي الصليبي مثلما شرع بوجوب توفير ثمن الفدية للملك كإحدى الخدمات الواجبة على الأتباع، أيضاً نظَّم العلاقة بين الملك وأتباعه لدعم الوجود الصليبي في أرض غريبة، إذ كان على الملك أن يلتزم أمام أتباعه بالدفاع عنهم في حالة تعرضهم للخطر، وإن تقاعس الملك عن

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ٢/ ٨٧-٨٨؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، ط٩ (القاهرة: الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م)، ٢/٩٥.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ١١/٥٤٣.

(٣)Jean d'ibelin: *Leliver de Jean d'ibelin in Assise de Jerusalem,* Paris: 1841, 397.

نجدة تابعه مع قدرته فسيكون التابع في حِلٍّ من جميع التزاماته الإقطاعية تجاه سيده[١]. قوة هذا القانون تكمن في رغبة الصليبيين على تماسكهم وتعاونهم، إلا أن معركة حطين كسرت القوة الصليبية، إذ لم يستطع الملك أن يوفي بالتزاماته أمام أتباعه. فاضطر صاحب جبيل هيو الثاني إمبرياكو (٥٥٨ -٥٨٠هـ/١١٦٣ -١١٨٤م)[٢]إلى طلب إيصال صوته لصلاح الدين الأيوبي عارضاً تسليم مدينته على شرط إطلاق سراحه، فأحضره صلاح الدين واتفق معه على تسليم المدينة وإطلاق ما بها من أسرى المسلمين مقابل إطلاق سراحه، ويقول في ذلك ابن الأثير: "فأطلقه صلاح الدين كما شرط له"[٣].

بالإضافة إلى ما سبق كان صلاح الدين حريصاً على مبادلة الأسرى المسلمين مستغلاً حرص الصليبيين على استعادة أسراهم حتى بعد الموت، نرى ذلك عندما أُسر أودو مقدم الداوية وذلك في عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م ورفض أن تتم مبادلته بالمال تبعاً لقانون الداوية الذي ينص ألا تدفع فدية لفرسان الداوية على أساس أن فارس الداوية لا يملك مالاً يستطيع تقديمه كفدية[٤]، لذلك سُجن أودو في دمشق حيث مات بعد عام، فكان شرط صلاح الدين لتسليم جثته، إطلاق أسير من المسلمين. يقول العماد

(١) Ibid, 422.

(٢) جبيل أو الجبيل: بلد مشهور تقع في شرقي بيروت. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ١٠٩/٢.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٣/١١.

(٤)نبيلة إبراهيم مقامي، **فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٩٤م)، ٥٠.

الأصفهاني: "وأما أود فإنه انتقل من سجنه إلى سِجِّين، فطلبت جيفته فأخذوها بإطلاق أسير من مقدمي المؤمنين"[١].

كماكان الضعف الاقتصاديوالحاجة إلى المال أحد دوافع تبادل الأسرى، ونرى ذلك في المطالبة بمبالغ كبيرة كفدية للمبادلة في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية وخاصة من الجانب الصليبي الدخيل على المنطقة هي من يؤدي إلى شيوع مبادلة الأسرى بالمال، لذلك نرى في الجانب الإسلامي اهتماماً كبيراً بوقف الأوقاف على ذلك، وشارك في ذلك السلاطين والأمراء والتجار والأفراد، فقد ذكر ابن جبير أثناء مروره ببلاد الشام في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أن كل من يخرج وصيته من المسلمين بهذه الجهات الشامية وسواها إنما يعيِّنها في افتداء الأسرى المغاربة لبُعدهم عن بلادهم، ويضيف "فملوك هذه الجهات من المسلمين والخواتين من النساء وأهل اليسار إنما ينفقون أموالهم في هذا السبيل"[٢]. ومن القادة المسلمين نرى أن نور الدين محمود زنكي يُنفق إثنا عشر ألف دينار في فداء المغاربة[٣].علاوة على ذلك كان للقضاة دور في وقف الأوقاف لفك الأسرى ومنها أن القاضي الفاضل أوقف أوقافاً لفكاك أسرى المسلمين إلى يوم الحساب[٤]. كما أوقف صلاح الدين موارد مدينة بلبيس لفك أسرى تلك المدينة الذين أسرهم الصليبيون في هجماتهم على مصر

(١) العماد الأصفهاني، **البرق**، ١٦٦/٣.

(٢) ابن جبير، **الرحلة**، ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ٢٤١/٢.

٥٦٤هـ/١١٦٨م واستغرق هذا مدة أربعين عاماً لفك جميع الأسرى[١].وفي إحدى معارك السلطان صلاح الدين مع الأرمن وبعد أن تمكن من هزيمتهم وأسر الكثير منهم في سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م كان أحد شروط إطلاق سراح أسراهم دفع مقدار من المال، وإطلاق سراح المسلمين لديهم، ولم يكتف بذلك بل وعلى حاكم الأرمن أن يشتري خمسمائة أسير من بلاد الفرنج ويطلقهم[٢].

بالاضافة إلى ما سبق، كانت هناك حالات فردية قام أصحابها بشراء الأسرى وإطلاق سراحهم، فبعد أن خص نور الدين المغاربة بأوقاف لإطلاق سراحهم، كان هناك من الأسرى من مدينة حماة أُطلق سراحهم مع المغاربة فرفض ذلك، وطلب استبدالهم بأسرى مغاربة وهؤلاء قال عنهم: "هؤلاء يفتكهم أهلوهم وجيرانهم"[٣]. كما كان للتجار ورجال الدين دور في توفير الأموال لعمليات المبادلة، ومن هؤلاء الشيخ نصر بن الحسين بن أحمد أبو القاسم الحرَّاني، الذي كان من بين أوقافه أوقافاً لإنقاذ الأسرى[٤]. وهناك وزير حاكم الموصل، الوزير جمال الدين أبو جعفر محمد ابن علي بن أبي منصور الأصفهاني الذي يُنفق على إنقاذ الأسرى عشرة آلاف دينار في كل عام من بلاد الشام[٥].

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ١٠٤/٢؛ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، حققه وعلق عليه: حسن محمد الشماع، (د.م: د.ن، ١٩٧٠م)، ٢٣/٤-٢٤.

(٢) أحمد بن شهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ٣٩٦/٢٨.

(٣) ابن جبير، **الرحلة**، ٢٨٠.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ٢٣٩/١١.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ٣٠٩/١١.وللمزيد عن ذلك راجع: حسن عبدالوهاب حسين، **"الوقف ودوره في =**

ونظراً لمعاناة الصليبيين خاصة هيئة فرسان الداوية وحاجتهم للأموال كان ذلك دافعاً قوياً على بيع ناصر بن الوزير الفاطمي عباس بعد أسره أثناء خروجه ووالده من مصر هرباً بعد قتلهم الخليفة الفاطمي[١].

ولا يستثنى الجانب الإسلامي من الاستفادة من مبادلة الأسرى بالمال في خدمة الأهداف العسكرية، فيذكر أبو شامة أن الأموال التي دفعها أمير أنطاكية مقابل إطلاق سراحه أنفقها نور الدين في الجهاد[٢]، وعقب معركة حطين، افتدى أهل صهيون[٣] أنفهسم وممتلكاتهم بمبالغ مالية، الرجل عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير والصغير ديناران[٤].

كماكانت تعد مبادلة الأسرىمقابل فك الحصار عن المدن المحاصرة إحدى العوامل الناجحة لإنقاذ الأسرى بمبادلتهم مقابل الحصول على مكاسب سياسية وعسكرية، ويبدو ذلك واضحاً حين استطاع أسقف مدينة سبسطية[٥] عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م أن يحافظ على مدينته عندما أغار عليها صلاح الدين بإطلاق حوالي

=

فداء الأسرى في بلاد الشام ومصر في عصر الحروب الصليبية"، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)، ٢٤١-٢٧٢.

(١)ابن منقذ، **الاعتبار**، ٤٣-٥٥؛ الصوري، **الحروب الصليبية**، ٢/٨٤٠.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ١/ ١٤٤.

(٣) صِهْيون: حصن حصين من أعمال حمص قريباً من ساحل بحر الشام. ياقوت، **معجم البلدان**، ٣/٤٣٦.

(٤) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ١٤٧.

(٥) سَبَسْطية: مدينة تقع في أعلى الفرات من أعمال سميساط. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ٣/ ١٨٤.

ثمانين أسيراً مسلماً[١]، وعندماحاصر تقي الدين ابن أخ صلاح الدين تبنين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أطلق الصليبيون ما لديهم من أسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل[٢].

إن عدم القدرة العسكرية على مقاومة الحصار جعلت أرملة نور الدين محمود زنكي بعد وفاته في سنة٥٦٩هـ/١١٧٤م تطلب من الملك عموري (٥٥٩ - ٥٧٠هـ/١١٦٣ -١١٧٤م)رفع الحصار عن مدينة بانياس مقابل مبلغ من المال، إلا أن الملك الصليبي استغل الموقف وأضاف "إطلاق سراح عشرين من الفرسان المسيحيين"[٣]، وقد تم رفع الحصار.كما نرى نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، يفاوض الصليبيين ليتجنب تهديدهم بمحاصرة دمشق في سنة٥٥٥هـ/١١٦٠م أثناء انشغال نور الدين محمود في شمال بلاد الشام وتسفر هذه المفاوضات، بجانب الشروط الأخرى، إطلاق ستة فرسان من المرتبة العادية[٤]. كما كان الحصول على الأسرى أفضل النتائج لبعض عمليات الحصار التي يكتفي بها القادة المسملون في ظل تعذر تحقق نتائج كبرى، فأثناء المحاولة الأولى لصلاح الدين الأيوبي للقضاء على الوجود الصليبي في حصن بيت الأحزان، لم يحقق الحصار الهدف وهو الاستيلاء على الحصن وهدمه كما كان مخطط له، فكان الحصول على بعض الأسرى المسلمين نتيجة مرضية

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٠٦/١١؛ وللمزيد راجع: منى حماد، "الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي ٤٩٠-٥٨٦هـ/١٠٩٧-١١٩١م"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة السلطان قابوس، ٥٩.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٥٤٢/١١.

(٣) الصوري، **الحروب الصليبية**، ٩٧٠/٢.

(٤)المصدر السابق، ٨٦٧/٢.

في تلك الفترة لفك الحصار[١].كما نجح المسلمون في رد الصليبيين عن مدينة حارم بمبادلة الأسرى بالأمان، وإيقاف الهجوم الصليبي على المدن الإسلامية بإطلاق عدد من الفرسان الأسرى ضمن شروط المصالحة[٢].

كما كان ضعف الموارد البشرية العسكرية، والحاجة للجهود العسكرية للقوات المأسورة، لا سيما فئة الفرسان، أحد العوامل لقبول المبادلة، إذ إن الأسر يؤدي إلى أزمة مقاتلين خاصة في الجانب الصليبي الموجود على أرض غريبة وشح الإمدادات البشرية من أوروبا.ونرى حاجة الصليبيين لتلك المبادلة في قبولهم عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م إطلاق سراح مائتين وسبعين أسيراً من قادتهم وفرسانهم مقابل ثلاثة آلاف أسير من أسرى المسلمين، ألفين من بلاد الشام وألف من مصر[٣].

ويذكر يعقوب الفيتري عند دخول الحملة الصليبية الثالثة إلى مدينة عكا عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م "ولكن ملك فرنسا تعامل مع المسلمين الواقعين تحت سيطرته بطريقة أكثر لباقة وألقى بهم في السجن لأجل مبادلتهم مع شعبنا"[٤].

ويتضح مما سبق حرص جميع القادة المسلمين على تحرير الأسرى بمبادلتهم، لا سيما في مرحلة صلاح الدين الأيوبي التي تعتبر من أقوى مراحل مواجهة الصليبيين والتي توِّجت في النهاية بمعركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وما تلاها من سقوط جميع المدن الصليبية، والتي عززت ترجيح ميزان القوى الذي بدأ في عهد نور الدين

---

(١) أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م)، ٦٧/١؛ عاشور، **الحركة الصليبية**، ٥٠/٢.

(٢) الأصفهاني، **البرق الشامي**، ٥٤/٣.

(٣) النويري، **نهاية الأرب**، ٢٦٣/٢٨.

(٤) يعقوب الفيتري، **تاريخ بيت المقدس**، ترجمة سعيد البيشاوي، (رام الله: دار الشروق، ١٩٩٨م)، ١٦٥.

محمود لصالح الجانب الإسلامي، فكانت الحصيلة أن استطاع صلاح الدين تحرير ما يزيد عن عشرين ألف أسير من المسلمين من المدن الصليبية[١]، ويذكر ابن شداد، أن صلاح الدين استنقذ أربعة آلاف أسير من مدينة عكا بعد معركة حطين[٢].

وتبقى نقطة مهمة ذات صلة وثيقة بهذا المحور، وهي طرق معاملة الأسرى من الطرفينأثناء أسرهم، فقد غلبت على معاملة المسلمين لأسراهم من الصليبيين المعاملة الحسنة، فكان صلاح الدين الأيوبي يتفقد أحوال الأسرى، إذ يروي ابن شداد في أحداث سنة ٥٨٦هـ/١٠٩٠م، أنه نادى المنادي أن من أسر أسيراً فليحضره عند صلاح الدين، وأحضر الأسرى، فخلع على المقدمين منهم فروة خاصة، وأمر للباقين بفروة خارجية، لأن البرد كان شديداً، كما أحضر لهم الطعام، وأمر لهم بخيمة نصبت قريبة من خيمته، وأخذ يُكرمهم طوال الوقت[٣].

وعلى الرغم من هذه المعاملة الحسنة من الجانب الإسلامي، إلا أنه وفي بعض الأحيان كانت تتبدل إلى المعاملة بالمثل في عقاب الأسرى الصليبيين رداً على ما وقع من تعذيب أو قتل على الأسرى المسلمين، ومن أمثلة ذلك ما حدث في سنة ٥٨٧هـ/١٠٩١م إذ أسر الصليبيون مسلماً وقتلوه وحرقوه، فأسر المسلمون منهم واحداً فقتلوه وحرقوه، وكان المؤرخ بهاء الدين ابن شداد شاهداً على ذلك الحدث، إذ قال: "ولقد رأيت النارين تشتعلان في زمان واحد"[٤].

---

(١)العماد الأصفهاني،**حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس،وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي**، (د.م: دار المنار، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ٥٩.

(٢) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ١٤٣.

(٣)المصدر السابق، ٢٢٩.

(٤)ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ٢٤٧. وللمزيد راجع أيضاً: نها عوض محمود العجمي، "أسرى الحروب =

ثالثاً: إجراءات تبادل الأسرى وآلياته

لم توضح المصادر التى اطلعنا عليها الكيفية التى يتم بها تبادل الأسرى مع العلم أنه لابد أن يكون بين الطرفين إجراءات تمهيدية لكيفية إتمام التبادل، فمن خلال الروايات التى تُشير إلى وجود تبادل للأسرى، كان التبادل يتم حسب حالة المبادلة، ففى المعاهدات بين الطرفين يتم إيراد شرط المبادلة فى نص المعاهدة أو الاتفاق مع تحديد الأسرى، إما بالأسماء أو بالفئات، فقد لجأ نجم الدين أيوب أثناء مفاوضته الملك الصليبى عمورى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م إلى وسطاء لتجنب تهديدات مملكة بيت المقدس على مدينة دمشق، ونجح هؤلاء الوسطاء فى إقناع الملك الصليبى الذى عيّن مايريد من المبادلة بستة أسرى من الفرسان من المرتبة العادية، وإن لم يذكر الكيفية التى تمت بها عملية المبادلة بعد ذلك(١).

وأثناء محاولات إطلاق سراح بوهمند الثالثحاكم أنطاكية، تولى الملك عمورى بنفسه مساعدة أتباع حاكم أنطاكية عملية مفاوضة نور الدين لإطلاق سراحه مقابل مبلغ مالى، ولم يذكر المؤرخون تفاصيل تلك المفاوضات ولا أسماء الأتباع المشاركين، ولا قيمة المبلغ، إلا أنهم ذكروا أن المال لم يُسلّم مُقدماً، بل كان خروج بوهمند مرهوناً بإحلال رهائن بدلاً عنه، إذ كانت مهمة الملك وأتباع بوهمند هو فقط الحصول على موافقة نور الدين لإطلاق سراح بوهمند، والاتفاق على المبلغ، وبعد خروج

=

الصليبية دراسة على الجانبين الإسلامي والصليبي ٤٩٦-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م في بلاد الشام ومصر"، (رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩م، ١٠٠-١٣٣؛ منى حماد، "تبادل الأسرى المسلمون والصليبيون ٤٩٠-٥٨٦هـ/١٠٩٧-١١٩١١م" **مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة السلطان قابوس، ٦٤.

(١) الصوري، **الحروب الصليبية**، ٨٦٧/٢.

بوهمند تولى هو شخصياً عملية توفير المبلغ المالى إذ نراه يتجه إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي للحصول على المبلغ[١].

وفى بعض الأحيان كان يتم اختيار الشخص المفاوض من العناصر والشخصيات المؤثرة، حتى وإن كان من بين الأسرى، فقد عرض شيركوه أثناء صراعه مع مملكة بيت المقدس على مصر عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م على الأمير هيو صاحب قيسارية، والذى كان أسيراً لديه، أن يتوسط لدى الملك الصليبى لإتمام الصلح بعد أن رأى أنه لافائدة من وجوده فى مصر، كان من بين الشروط التى عرضها الأمير تبادل الأسرى بين الطرفين دون تحديد الأعداد، وقد اقتنع هيو بذلك العرض، ولكنه رأى أن يقوم بالمهمة أرنولف صاحب تل باشر، وهو صديق الملك، وبالفعل تم الاجتماع بين الأطراف المتفاوضة ومناقشة العرض والموافقة عليه[٢].

ومن الملاحظ أن عملية مبادلة الأسرى بمبالغ مالية تجبر أحياناً الأسير على وضع رهائن مكانه إلى أن يحصل على مبلغ المبادلة، مما قد يتسبب في إحراج سير العملية، خاصة عندما تطول مدة تحصيل المبلغ، وقد حدث ذلك في أثناء إجراءات إطلاق سراح كونت طرابلس الذى تأخر فى الحصول على المبلغ المطلوب، وخلال فترة دفع المبلغ توفى نور الدين محمود زنكى، وبدأ صلاح الدين في توحيد الجبهة الإسلامية تحت سيطرته وحاصر الموصل، حيث أن الرهائن الذي لم تحدد المصادر هويتهم كانوا ينتظرون إطلاق سراحهم بعد أن يفي ريموند صاحب طرابلس بوعده ويقدم المال، وقد أنقذ هؤلاء الرهائن أن صلاح الدين فاوض صاحب طرابلس أن يطلق سراحهم

(١) الصوري، **الحروب الصليبية**، ٨٩٢/٢.

(٢) المصدر السابق، ٩١٩/٢.

دون دفع المال مقابل عدم اعتراض الصليبيين تقدّمه نحو الموصل أثناء توحيده للجبهة الإسلامية تحت حكمه، ووافق الجميع وتمت العملية[١].

ولا تختلف إجراءات التبادل باختلاف المدة الزمنية التي يقضيها الأسير من الشخصيات المشهورة، فقد ذكر وليم الصوري إطلاق سراح ريموند الأصغر صاحب طرابلس بعد ثمان سنوات من الأسر مقابل وضع رهائن حتى يتم جمع المبلغ، الذي قدّمه الملك الصليبي وأعوان الأمير المأسور في الإمارة من نبلاء ورجال دين[٢].

وأحياناً أثناء المفاوضات على مبلغ مالي يتقدم المفاوض الأقوى بفرض شروط أخرى، نرى ذلك حين استغل الملك الصليبي وفاة نور الدين وخوف أرملته من حصار الصليبيين لمدينة بانياس، وأثناء المفاوضات قبلت أرملة نور الدين، بالإضافة إلى المبلغ المالي المتفق عليه، شرط إطلاق عشرين أسيراً من فرسان الصليبيين مقابل رفع الحصار[٣].

وقد تتعثر المفاوضات أحياناً عند مبادلة الأسرى بالمال وتطول إجراءاتها لسنوات، إلا أن المفاوضات تستمر، ويشارك فيها أصدقاء المأسور، كما حدث لرينالد دي شاتيون الذي مكث في الأسر ستة عشر عاماً[٤].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذه الإجراءات تفرض وجود جهة مخوَّلة، في كلا الطرفين، بتسجيل أسماء الأسرى، وأعمارهم، وسنوات أَسرهم، والجيوش أو المدن

---

(١) المصدر السابق، ٢/٩٨٣.

(٢) الصوري، **الحروب الصليبية**، ٢/٩٦٥.

(٣) المصدر السابق، ٢/٩٧٠.

(٤) المصدر السابق، ٢/٩٨٧.

التي يتبعون إليها، إلى غير ذلك من معلومات ضرورية لإتمام عملية المبادلة فيما إذا تهيأت الفرصة، وذلك عن طريق ناظر لما يمكن أن نسميه ديوان الأسرى، لدى الجانب الإسلامي خاصة، فقد ذكر العماد الأصفهاني بعد معركة مرج عيون ٥٧٥هـ/١١٧٩م عند حديثه عن تلك المعركة، أنه بعد أسر العديد من الأمراء والقادة الصليبيين "وَأَنا جَالس بقرب السُّلْطَان مُنْفَرداً استعرضهم بقلمي في الدستور"[(١)]، وقد أشار النويري في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى وجود مثل هذا الديوان مهمتهحصر معلومات الأسرى، وذلك فيما أطلق عليه "سياقة الأسرى والمعتقلين"[(٢)]، وبالنظر إلى ما سبق نجد أنه من الأولى أن يُوجد مثل هذا الديوان في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، نظراً لتوسع حركة الجهاد ووجود العديد من الأسرى لدى الطرفين الإسلامي والصليبي.

(١) العماد الأصفهاني، **البرق الشامي**، ١٦٦/٣.

(٢) النويري، **نهاية الأرب**، ٢٨٣/٨؛ وللمزيد راجع: حسين، "الوقف ودوره في فداء الأسرى..."، ٢٥٠.

الخاتمة

كان الغزو الصليبي لبلاد الشام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي واستقرار عناصر أوربية غريبة عن هذه الأرض عاملاً مهماً في حدوث صراعات عسكرية لمقاومة المحتل من قبل أصحاب الأرض، هذه الصراعات بين الطرفين نتج عنها وقوع العديد من الأسرى من الجانبين، هؤلاء الأسرى إما قادة ونعتبر ما أصابهم هو نتيجة أهدافهم التي كان أهمها احتلال الأراضي الإسلامية، وإما جنود هم وقود تلك الحروب، قتلى أو أسرى، وبالمقابل عانى أصحاب الأرض أيضاً من الوقوع في الأسر، هذه المعاناة تحمّلتها القوات العسكرية المقاومة للوجود الصليبي، كما طال الأسر الفلاحين والتجار وعابري السبيل، وهذه المشكلة كان لابد من حلها، ومن المؤكد أن انتهاء تلك المعاناة لم تكن لتتم إلا بخروج الصليبيين في نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، إلا أنه أثناء مدة الوجود الصليبي المحتل كانت إحدى الحلول لتخفيف المعاناة استنقاذ هؤلاء الأسرى عن طريق عملية التبادل التي رحّب بها الطرفان بناءً على مصالحهم العسكرية والاقتصادية، فكانت تتم عمليات التبادل بالمثل، أي بأسرى مقابل أسرى.

على الرغم من أنإطلاق أسرى صليبيين من ذوي المكانة مثل الأمراء والقادة العسكريين كان مفيداً في إنقاذ الكثير من الأسرى المسلمين، إلا إنه في الوقت نفسهكانتأجيلاً لعملية التخلص من المحتل الصليبي الذي ما أن يتم إطلاق سراح قادته حتى يبدأ من جديد في تثبيت وجوده في البلاد الإسلامية.

ورغم تلك الآثار السلبية لعملية التبادل إلا أن تلك العملية كان لها وجه آخر غير مبادلة أسرى بأسرى وهو مبادلة الأسرى بالمال، وقد وجد الجانبان الإسلامي والصليبي في ذلك مورداً اقتصادياً جديداً نظراً للحاجة الماسة للمال لاسيما الجانب

الصليبي البعيد عن عمقه الجغرافي، والذي كان بحاجة إلى ذلك المورد في ظل ضعف الأحوال المادية.

إن عملية تأمين المدن والقلاع من التهديد العسكري كانت من أولويات الجانبين الإسلامي والصليبي، لذلك لجأ الجانبان إلى عملية مبادلة ذلك الأمن، إما بأسرى وكان هذا هو الهدف الذي حرص الجانبان على النص عليه في المعاهدات، أو بالأموال التي كانت بصورة عامة هي الغالبة عند المبادلة، ولذلك نجد الجانب الإسلامي يحرص على الإكثار من الأوقاف التي شارك فيها معظم طبقات المجتمع من سلاطين، وقادة، وقضاة، وتجار، وأفراد، لإتاحة الفرصة لمبادلة الأسرى وفِكاكهم.

وفِي ظل الظروف، خلال فترة الدراسة، تمكن الطرفان الإسلامي والصليبي من مبادلة العديد من أسراهم وإنقاذهم، ولجأ الجانب الصليبي نظراً لسوء أحواله الاقتصادية واستنزاف حركة الجهاد الإسلامية لجميع مقوماتهم إلى الإمبراطورية البيزنطية للحصول على الأموال أو مساهمة أصدقاء الأسير وأقربائه في عملية توفير المال للمبادلة، ورغم أن القوانين الصليبية قد حدّدت العلاقة بين السيد وأتباعه، وبموجب تلك القوانين كان على الأمراء التضحية بإقطاعياتهم وممتلكاتهم لإنقاذ الملك في حالة أسره، وإلزام الملك بالوقوف مع أتباعه في حالة أسرهم والمساهمة في مبادلتهم، إلا أن هذه القوانين تعطلت نظراً لسوء الأوضاع العسكرية والسياسية للصليبيين لاسيما في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وبعد معركة حطين بالذات.

لم يثنِ العداء العسكري الصليبي القوى الإسلامية عن العمل بتعاليم الدين الإسلامي في معاملة الأسرى، وهي احترام الأسير والعناية به والإحسان إليه، كما فعل صلاح الدين مع أسرى الصليبيين، لكن إذا صدر من الجانب الصليبي ما يؤذي

الأسرى المسلمين وينتهك حقوقهم، كان لابد من المعاملة بالمثل نصرة للدين وثأراً للمسلمين.

ورغم كثرة عمليات المبادلة إلا أن المصادر لم توافينا بآلية معينة وواضحة لكيفية التبادل، لكن من خلال عمليات التبادل رأينا كيف تتم المفاوضات التي تسفر عن مبادلة الأسير، كما كان فِي الجانب الإسلامي كُتَّاب يعتنون بذلك الشأن خاصة تسجيل الأسرى لإحصائهم، وبهذا تمكن المسلمون والصليبيون خلال فترة الدراسة من مبادلة أسراهم باتباعهم لهذه الإجراءات.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

[١] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٢/١٩٨٢م).

[٢] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت).

[٣] الأصفهاني، محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، (الأردن: مؤسسة عبدالحميد شومان، ١٩٨٧م)

[٤] - - - - - -، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي، (دار المنار: د.م، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

[٥] البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، مصورة من السلطانية، ١٤٢٢هـ).

[٦] البنداري، فتح بن علي، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي (القاهرة: الخانجي، ١٩٧٩م).

[٧] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

[٨] ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠/١٩٨٠م).

[٩] الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).
[١٠] ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م).
[١١] أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).
[١٢] الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرين، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢م).
[١٣] الشارتري، فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥ -١١٢٧م)، ترجمة قاسم عبده قاسم، (الكويت، ذات السلاسل، ١٤١٣، ١٩٩٣م).
[١٤] أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
[١٥] ابن شداد، بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
[١٦] ابن أبي شيبة، أبو بكر، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).
[١٧] الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل ذكار، (دمشق: دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
[١٨] الصوري، وليم، ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م)، ٩٠ -٩١.

[١٩] ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم، تاريخ ابن الفرات، حققه وعلق عليه: حسن محمد الشماع، (د.م: د.ن، ١٩٧٠م)، ٤/ ٢٣ -٢٤.

[٢٠] الفيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، (رام الله: دار الشروق، ١٩٩٨م)، ١٦٥.

[٢١] ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني لابن قدامة، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

[٢٢] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبدالله التركي وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

[٢٣] ابن القلانسي، حمزة بن أسد، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٨٠م).

[٢٤] القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م).

[٢٥] مجهول، الحروب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م).

[٢٦] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥).

[٢٧] النويري، أحمد بن شهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ).

[٢٨] المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م).

[٢٩] ابن منقذ، أسامة بن مرشد، كتابالاعتبار، تحقيق: قاسم السامارائي، (الرياض: دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ١٤٠٧ -١٩٨٧م).

[٣٠] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

[٣١] ابن واصل، محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٧م).

ثانياً: المراجع

[٣٢] حسين، حسن عبدالوهاب، "الوقف ودوره في فداء الأسرى في بلاد الشام ومصر في عصر الحروب الصليبية"، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م).

[٣٣] سميل، ر. سي، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧ - ١١٩٣م)، ترجمة: محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٥م).

[٣٤] سميث، جونثان رايل، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م).

[٣٥] عاشور، سعيد عبدالفتاح، الحركة الصليبية، ط٩ (القاهرة: الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م).

[٣٦] عطية، حسين محمد، تشريعات الصليبين: دراسة في قوانين أنطاكية ومملكة بين المقدس الصليبية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة، ٢٠١٢م).

[٣٧] محمد مؤنس عوض، تاريخ الصليبيات، الصراع العالمي في العصور الوسطى، (القاهرة: دار العالم العربي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

[٣٨] قاسم، عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى (نصوص ووثائق)، (القاهرة: عين للدراسات للبحوث الدينية والاجتماعية، ٢٠٠١).

[٣٩] ماستناك، توماس، السلام الصليبي، ترجمة: بشير السباعي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٩م).

[٤٠] مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٩٤م).

ثالثاً: المقالات والرسائل العلمية

[٤١] العجمي، نها عوض محمود، "أسرى الحروب الصليبية دراسة على الجانبين الإسلامي والصليبي ٤٩٦ -٦٩٠هـ/١٠٩٧ -١٢٩١م في بلاد الشام ومصر"، (رسالة ماجستير: جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩م).

[٤٢] حماد، منى "الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي٤٩٠ -٥٨٦هـ/١٠٩٧ -١١٩١م"، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

[٤٣] حماد، منى "تبادل الأسرى المسلمون والصليبيون ٤٩٠ -٥٨٦هـ/١٠٩٧ - ١١٩١١م" مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

رابعاً: المصادر الأجنبية

[44] Dodu: g,- Histoire des Institutions Monarchiqesdans le Royaume Latin Jersalem. 1099-1291 Paris 1894.

[45] Jean d'ibelin: Leliver de Jean d'ibelin in Assise de Jerusalem, Paris: 1841.

[46] La mont: J, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291 Cambridge 1932

Exchange of Muslim and Christian war prisoners (544-589 A.H/1149-1193 AD)

Dr. Mody Abdullah Al-Sarhan

Assistant Professor - Department of History -College of Arts- King Saud University

Abstract: The Islamic world witnessed a brutal attack at the end of the 5th century AH /11th century AD. The attack, known as the Crusades, led to the formation of political entities in the Levant, near the Muslim properties. Between the expansion of these entities and the Muslim resistance, prisoners were taken from both sides. The methods and types of captivity varied. It ranged from direct military operations, raids, and ground and maritime operations. The prisoners were from different categories including military leaders, soldiers, merchants, travelers, pilgrims, and common people. Each side tried to use prisoners in many ways including exchange. Various motives stood behind this exchange including the importance of the captive, the need for money, and the need for the services of the captives from both opposing sides. The operations of exchange were either swap exchange or in return for money. They were achieved in accordance with specific mechanisms that enabled both parties to complete the exchange and save their prisoners.

Key words: The Levant, The Crusades, War Prisoners, Muslims, Christian, Pilgrims, The Endowment.